مجلة الحكمة للدراسات التربوية والنفسية
Eissn :2602-5248 Issn : 2353-0456
المجلد 10 / العـدد: 04(2022)، ص: 180- 204

فلسفة التربية عند عبد الحليم بن سماية.

Philosophy of education when Abdul Halim bin Samaya

مناد محمد[1]

[1]**جامعة الجيلالي بونعامة (الجزائر)** mohammed_mennad@univ-dbkm

تاريخ الاستلام: 2022/11/07 تاريخ القبول: 2022/11/30 تاريخ النشر: 2022/12/07

ملخص:

تعددت التصورات لمشروع إعادة بعث وإحياء المجتمع الجزائري لدى النخب الجزائرية إبان العهد الاستعماري الفرنسي، وبرغم اختلاف مرجعياتها وأنساقها الفكرية ، إلا أنها اتفقت في الغايات والوسائل ،تسير لأجل الاستقلال وبناء دولة قوية ثورية ،تتشرب من قيم العروبة والإسلام وتتفتح على الديمقراطية والحرية، تعي دور التربية والتعليم في تحرير العقل وبناء الإنسان الجزائري ،فكانت هذه المشاريع مبنية على فلسفة تنبع من المجتمع الجزائري ،فكانت بحق فلسفة تربوية أصيلة تتعلق بواقع الإنسان الجزائري وتعكس توجهاته وقيمه ، وهذا ما نجده من خلال أفكار عبد الحليم بن سماية.

الكلمات المفتاحية: الفلسفة- التربية- فلسفة التربية- عبد الحليم بن سماية-

Abstract:

There were many perceptions of the project of reviving and reviving Algerian society among the Algerian elites during the French colonial era, and despite their different references and intellectual systems, they were agreed in the goals and means, marching for independence and building a strong revolutionary state, imbued with the values of Arabism and Islam and open to democracy and freedom, aware of the role of education in liberating the mind and building the Algerian human being. These projects were based on a philosophy that stems from the Algerian society. It was truly an authentic educational philosophy related to the reality of the Algerian human being and

reflecting his orientations and values, and this is what we find through the ideas of Abdel Halim ben Smaia.

Keywords: philosophy - education - philosophy of education - - Abdel Halim ben Smaia

---

***المؤلف المرسل:** د- مناد محمد

1. مقدمة

حضارة كل أمة تقاس بقدرة ناسها على تفلسف أحسن، وهكذا فإن الخير كل الخير لأمة ما ،أن يكون فيها فلاسفة حقيقيون ،هكذا قال ديكارت، نعم بناء الحضارة يبدأ ببناء الإنسان أولا، ولا يكون هذا البناء مكتملا راسخا وشامخا إلا بأسس وأصول متينة تحفظه وتصونه ،خاصة في خضم رياح التغيير والتذويب والاستلاب ،وعليه فالناظر للسياق التاريخي الذي عاشته الجزائر في القرون الماضية، يجد أن الإنسان الجزائري كان يقف مشدوها من اتساع الهوة بينه وبين العالم الغربي ، فكان يعاني من تشويه ثقافته والاعتداء على هويته، وعلى القيم العربية الأصيلة التي تشربها ونهل منها ، فالمحطات الماضية (الأتراك والفرنسيون) كانت سببا في اضمحلال الشخصية الجزائرية،وأفول نورها في سماء الفكر العالمي ، أثمرت ثقافة جديدة قوامها اغتراب الإنسان الجزائري، ساهمت في عجز الفكر و جمود العقل و فقدان الإرادة، فلقد تجرد العقل الجزائري من أدواره وأصبح يعيش أسيرا لماضيه، يتغنى بالمأثر ويتناسى الحاضر والمستقبل،يعيش وهم القوة والسطوة وهو يعيش الغزو والتخلف، لا يقبل نظرا ولا رأيا، حجب عن نفسه تغيرات الأحوال وتسارع الأحداث، فغابت عنه العلوم والمعارف، وإذا كان التشييد الحضاري ينطلق من الإنسان نفسه ،فإن بناء الإنسان يحتاج إلى تحرير عقله وتنويره ، وهذا لا يكون إلا التربية و العلم والتعليم عن طريق رجال علماء عظماء في تكوينهم العلمي والمعرفي والأخلاقي ،وعليه فالحديث عن دور المفكرين الجزائريين الإبداعي حديث طويل، والحديث عنه هنا تذكير فقط لمن يتهم العقل العربي الجزائري بالجمود والتخلف، لأن ما عاشته الجزائر في الماضي يعود في أساسه للسياسة الاستعمارية ، التي تعمدت تحجير العقل الجزائري في سباته،

لكن الجزائر لم ولن تكف عن إنجاب الرجال الذين يهبون أرواحهم خدمة لأوطانهم وشعوبهم ولعل من بعض هؤلاء المفكرين *الشيخ عبد الحليم بن سماية 1866-1933- والذي حاول من خلال نشاطه التعليمي والإصلاحي تغيير الساحة الفكرية والثقافية والعلمية في الجزائر ، فلقد قامت فلسفته الإصلاحية على تعليم الناس وإرشادهم وتصحيح أمور دينهم، واستنهاض الهمم، لإحياء الجزائر وبعث عربيتها التي كادت أن تغيب، وإسلامها الذي كاد يُقضى عليه، ولو أن حركات التحرر السياسي في الجزائر سارت بطريق أخر وعلى منهج بعض الهيئات التي أنشئت في جو التأثر بالثقافة الفرنسية لكانت الجزائر اليوم قطرا فرنسيا، ولو أنه مستقل استقلالا ذاتيا، لكنه استقلال يمحو ذاتيتها ويزيل عنها إسلامها وعربيتها"(عبد الرحمن شيبان،2000،ص57) ، لذلك كان تحرير العقل الجزائري عند **عبد الحليم بن سماية** من دجل الخرافة وأوهام الأضرحة وبركتها،عاملا مهما في يقظة الإنسان الجزائري، وتسارعه إلى الإنعتاق والنهضة ، والدفاع عن الوطن والدين واللغة، وإصلاح الأوضاع الثقافية والاجتماعية والسياسية، ونشر الأفكار الإصلاحية والعمل على إصلاح الأوضاع الدينية والتعليمية والاجتماعية والسياسية، وعليه تأتي هذه الورقة البحثية كمحاولة لاستجلاء معالم الفلسفة التربوية عند **عبد الحليم بن سماية** ومدى مساهمتها في بناء الفكر الجزائري إبان الحقبة الاستعمارية من خلال مشروعها التربوي لبناء الإنسان والمجتمع الجزائري، وهذا انطلاقا من التساؤل الجوهري:

هل يمكن الإقرار فعلا بوجود فلسفة تربوية عند الشيخ عبد الحليم بن سماية؟ .

وتتفرع هذه الإشكالية إلى مجموعة أسئلة جزئية هي :

1- ما مفهوم الفلسفة والتربية ؟.

2-ما ذا نعني بفلسفة التربية ؟.

3-ما هي أوضاع التربية في الجزائر قبل الاستقلال ؟.

4-ما هي مظاهر الاستلاب التربوي في الجزائر إبان الفترة الاستعمارية الفرنسية؟.

5- ما هي الفلسفة التربوية التي قام عليها مشروع عبد الحليم بن سماية؟.

2- بين الفلسفة والتربية:

1.2-مفهوم الفلسفة:

في كتاب مؤرخ الفلسفة "وول ديورانت" (قصة الحضارة) نجده من أكثر المؤرخين تقديسا للحضارات الشرقية القديمة كالحضارة المصرية والهندية والصينية و أحرصهم على القول بأسبقية المحاولات الفلسفية الشرقية، وهو يؤسس لموقفه باعتبار أن الحضارات الشرقية قد سبقت حضارة اليونان في ثمانية أسس هي الدين والعمل والتنظيم السياسي والاجتماعي والأخلاق والعلم والفلسفة والأدب والفن، ويؤكد أن الحضارات القديمة في مصر والصين والهند وبابل وآشور قد كان لها نصيب وافر من كل هذه العناصر، و أوروبا في نظره تدين للشرق بقدر كبير من كل عنصر ولكنه لم يستطع أن يخفي أن الوثبة اليونانية بالفكر والعلم والفن والتنظيم في تأسيس المجتمع المدني القائم على النزعة الفردية والاستقلال في التفكير وجعل التحاور هو الآلية التي تضمن تصحيح الأفكار وتحسين الأوضاع، كل هذه تجعل إسهامات اليونان ليست مجرد إضافة عادية وإنما هي قفزة استثنائية مثلت تحولات كبرى في حياة الفرد والمجتمع مهدت الطريق لما صارت إليه أوروبا وأمريكا في هذا العصر وما حققاه من تطورات مذهلة في كافة المجالات الدنيوية ، فلقد ارتقى العقل اليوناني وتحرر من قيد الأسطورة وأخذ بيد الفلسفة حتى وصل بها إلى مرحلة الوعي والنظام وأصبح يبحث بحثاً عقلياً خالصاً في كل مشكلات الكون والحياة كما حاول إقامة الأخلاق على أساس من التفكير الحر والتعليم المرن ونظر إلى الإنسان باعتباره مواطناً حرا له حقوق مدنية وحرية سياسية ، "فالفلسفة كما يكشف عنها التاريخ الأصلي للكلمة هي حب الحكمة وقد ينشأ هذا الحب من رؤية تنبؤية شاملة أو قد يبرز من خلال تحليل نقدي منهجي فهي نوع من البصيرة أو الاستبصار للقضايا الأساسية التي تتطلب منا أولا أن نوضح تماما ما نسأل عنه"(روبين ابيل،2011،ص12) ، فهي فكر ونظر ترتبط بالإنسان كونه أرقى الكائنات وأوسعها قدرة على فهم الوجود، دفعه شغفه باستكشاف المجهول وحب الفضول إلى التأمل، ويعتبر القرن السادس قبل الميلاد بداية التفلسف مع الحضارة اليونانية، ففي المعجم الفلسفي لجميل صليبا :"

لفظ الفلسفة مشتق من اليونانية وأصله "فيلا صوفيا" ومعناه محبة الحكمة.ويطلق هذا العلم بحقائق الأشياء والعمل بما هو أصلح"(جميل صليبا،1979،ص160).

ويعرفها" لالاند" في معجمه الفلسفي: "الفلسفة معرفة عقلانية ،علم بالمعنى الأعم للكلمة.""وهي كل مجموعة دراسات أو اعتبارات تمثل درجة رفيعة من العمومية وتنزع إلى رد كل نظام معرفي أوكل المعرفة البشرية إلى عدد صغير من المبادئ الموجهة.وهي جملة الدراسات المتعلقة بالروح من حيث أنه يتميز من أغراضه ويتعارض مع الطبيعة.وهي دراسة نقدية فكرية لما تنظر فيه العلوم، وهي دراسة الفكر من حيث تميزه بميزة الأحكام القيمية"(أندريه لالاند،2001،ص980-981).

وورد في المعجم الوسيط في معنى الفلسفة أنها "دراسة المبادئ الأولى وتفسير المعرفة تفسيرا عقليا ، وكانت تشمل العلوم جميعا واقتصرت في هذا العصر على المنطق والأخلاق وعلم الجمال وما وراء الطبيعة"(المعجم الوسيط،1983،ص700) ، فهي تمثل طريقة التفكير وأسلوب المناقشة لمختلف القضايا والمسائل فهي عقلانية التحليل والمعالجة، تعكس قدرة الإنسان على فهم العالم، وإدراكه عقلا، ويمثل التساؤل منطلقا لتشكيل المعرفة، وبنائها، من خلال التفكير النقدي البناء، للوصول إلى الحقيقة.

وجاء في كتاب عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن إصبيعة " أن أبا نصر الفارابي عرف الفلسفة بقوله: اسم الفلسفة يوناني وهو دخيل في العربية وهو على مذهب لسانهم فيلوسوفيا ومعناه إيثار الحكمة، وهو في لسانهم مركب من فيلا ومن سوفيا، ففيلا الإيثار وسوفيا الحكمة".

وعرفها جابر بن حيان بقوله :"حد الفلسفة أنها العلم بالأمور الطبيعية وعللها القريبة من الطبيعة من أعلى والقريبة والبعيدة من أسفل أما الكندي فيقول: حدها القدماء بعدة حدود منها"الفلسفة معرفة الإنسان نفسه". ويعرفها الخوارزمي بأنها: "علم حقائق الأشياء والعمل بماهو أصلح "(عبد الامير الاعسم،1991،ص201).

إن لفظ الفلسفة يعود إلى اللغة اليونانية /فيلا – سوفيا / ومعناه: محبة وإيثار الحكمة ولذلك يعرف الفيلسوف بأنه محب للحكمة، ويعتبر العالم الرياضي

الشهير فيثاغورس (القرن 5 ق.م) "أول من وضع لفظ فلسفة إذ قال لست حكيما فإن الحكمة لا تضاف لغير الآلهة وما أنا إلا فيلسوف أي محب للحكمة"(فاروق محفوظ،1993،ص135) ، فمفهوم الفلسفة مفهوم واسع ،إلا "أن الرجوع إلى الأصل اليوناني لكلمة الفلسفة كما يرويها المؤرخ اليوناني هيرودروث" أن كريس قال لأنسولوت أحد الحكماء السبعة لقد سمعت أنك جبت البلاد متفلسفا أي باحثا منقبا متأملا طالبا للمعرفة واستعمل بروكليس كلمة الفلسفة بمعنى الجد وراء التهذيب"(سعدون سلمان نجم الحلبوسي،2003،ص15) ، وهذا التعريف تردد صداه عند ألعرب ثم إن العرب استعملوا كلمة الفلسفة إلى جانب كلمة الحكمة وصاروا يطلقونها على هذا النوع من الدراسة ، فالفلسفة إذن هي أسلوب للتفكير و الحوار والنقد والتحليل لها مباحثها الخاصة وميادينها المعرفية، وعليه تدرس الفلسفة كل ما يتعلق بالوجود. تدفع الإنسان إلى أن يتساءل ويحاول الإجابة عن طريق التأمل العقلي اللامحدود قصد بلوغ الحقيقة "والفلسفة هي التي أدت به إلى الرفع من مستوى الحيوانية إلى مستوى الإنسانية المفكرة المتطورة"(محمد منير مرسي،1995،ص25).

إذن تهتم الفلسفة بالبحث في حقائق الأشياء لمعرفة عللها فهي تبحث في الوجود كوحدة كلية ومن ثمة فهي تتميز بالشمولية، وهي تعبر عن رؤية شمولية، نقدية متبصرة ، قوامها العقل، بهذا تكون واسعة في موضوعاتها فهي تثير الأسئلة وتحاول الإجابة عنها لذلك درجت الفلسفة في الماضي على اهتمامها بالبحث في ثلاث جوانب رئيسية متميزة هي: الانطولوجيا الابستيمولوجيا الاكسيولوجيا.

2.2-مفهوم التربية:

مفهوم التربية مفهوم واسع ، فهو يرتبط أساسا بالفلسفة و الأديان والمذاهب، والأفكار والمعتقدات السائدة في المجتمع، ولقد عرفت التربية في مفاهيمها وأساليبها وغاياتها تطورات تاريخية صاحبت تغير الفكر البشري واهتماماته، وطبيعة المجتمعات وثقافاتها، إلا أن هذه التطورات تجمعها أفكار ورؤى تتقاطع في الغايات ما جعلها تنطوي على أبعاد مشتركة بصورة كلية أو جزئية"(علي حسين الدوري،2009،ص17) ، فالتربية عبر مراحل عصورها تمثل عملية فطرية، تُلازم

الإنسان وهي خلاصة تجارب إنسانية أصيلة تتضمن قيما عليا، وهي موروث ينتقل من الآباء إلى الأبناء ومن الأجداد إلى الأحفاد، حتى اعتبرت التربية حياة .

والتربية في اللغة ترجع إلى ثلاثة أصول هي" :ربا، ربي، رب ".

فالأصل الأول هو :ربا -يربو (بمعنى) نما -ينمو وزاد يزيد(ابن منظور،ص1547) ،فالتربية تعني الزيادة والنمو والتغيير من حال إلى حال .والنمو والزيادة.

الأصل الثاني هو:ربي -يربى (على وزن) خفي يخفي،ومعناها نشأ وترعرع.

الأصل الثالث: هو رب -يرب بمعنى أصلحه وتولى أمره وساسه وقام عليه.

واشتق بعض العلماء من هذه الأصول اللغوية تعريفًا للتربية، يقول الإمام-' البيضاوي'

685هـ . م– 1286"الرب" في الأصل التربية، وهو إنشاء الشيء إلى كماله شيئًا فشيئًا، ثم وصف الله به نفسه للمبالغة" رب الناس "و" رب العالمين."

أما اصطلاحا فلقد اختلاف المفكرون حول مفهوم التربية،غير أن هذا لا ينفي وحدة الأهداف التربوية من إعداد النشء، وخلق المواطن الصالح، وتنمية الذات وتطوير المجتمع وبناء المدنية والحضارة، ويقترح أوليفيه ريبول مفهوما للتربية فيقول: "التربية هي العمل الذي يخول كائنا إنسانيا أن ينمي استعداداته الجسدية والفكرية كما ينمي مشاعره الاجتماعية والجمالية و الأخلاقية، في سبيل إنجاز مهمته كإنسان ما استطاع إلى ذلك سبيلا وهى أيضا نتيجة ذلك العمل"(أوليفييه ريبول،1986،ص142) ، إن التربية بهذا المعنى فعل قصدي منهجي يشمل جميع مقومات الإنسان من استعدادات وراثية و ما يكتسبه من بيئته الاجتماعية من قيم وعادات أي الثقافة،لأجل بناء الإنسان النموذج وإعداده لما يجب أن يكون عليه.

3.2-فلسفة التربية:

ينطلق "اوليفييه ريبول" في تقديم فلسفة التربية على أنها تساؤلات جذرية تتعلق بالمعنى والغاية من الفعل التربوي وهذه التساؤلات هي ما يميز فلسفة التربية عن الفلسفة العامة،فهي ليست علم التربية كما أنها ليست سيكولوجية الولد، إنها كفرع من فروع الفلسفة لا تسعى إلى لباقة أو حتى معرفة بل أولا إلى البحث في كل ما نعتقد إننا نستطيعه ونعرفه"(أوليفييه ريبول،1986،ص05).

إن فلسفة التربية خاصة في موضوعها ومنهجها فهي "تتسلح منهجيا بتاريخها الخاص أي بالمناهج الفلسفية التي أدخرها لنا كامل تاريخ الفلسفة وبينت خصوبتها في تطبيقها من قبل شيوخ الفلاسفة "(لطفي الحجلاوي،2009،ص10-11) ، لذلك تُشكل الرؤية الفلسفية النقدية والعقلانية التأملية أساسا للتساؤلات في ميدان الخبرات الإنسانية التي تعبر عن روح العملية التربوية ، فالتربية لا يمكن أن تنمو وتكتمل وتتواءم في ميدان التطور ما لم تستند إلى فكر فلسفي يغذيها بالجد والابتكار و الإبداع، هذا ما يؤكد العلاقة المتينة والتبادلية بين الفلسفة والتربية وحاجة كل منهما إلى الأخر، فالتربية حياة للفلسفة ،والفلسفة هي الموجه والمجدد للتربية، فهي تحرر العقل من التعصب للأفكار التقليدية وهي ترشد إلى اتخاذ أحسن القرارات التربوية و انتهاج أنجع السياسات في المجال التربوي، لأن نظرتها إلى المشكلات التربوية تتجاوز الحدود الضيقة والقراءات الخاطئة فهي تكرس الوضوح والدقة والعمق ومنهجية الممارسة التربوية، ففلسفة التربية هي الإطار الذي يحرك التربية ويدفعها إلى الأمام، كي تسابق العصر الذي تعيشه ليمكنها من التقدم والبقاء والاستمرارية. وعليه فلسفة التربية هي الموجه والمنظر و المؤطر ومعيار نجاح الفعل التربوي، وهي ملزَمة بفهم متطلبات العصر الذي نعيشه وما يتضمنه من تغيرات وحاجبات جديدة، وفهم طبيعة البيئة الثقافية التي ينشا فيها الأفراد ويتعلمون ثم كيفية استثمارر تلك الخبرات التربوية في تعزيز العمل التربوي، وبناء الأهداف التربوية.

إن فلسفة التربية هي تعبير عن فلسفة المجتمع التربوية، فتتفاعل التربية والفلسفة في تحديد الواقع الذي تعيشه التربية والمجتمع، وتجعل التربية أداة فعالة في المحافظة على روح المجتمع وأصالته وتجديد معالمه، ثم إنها تحدد الوسائل والأهداف التربوية، وهي أساس إصلاح النظام التعليمي بما تمتلكه من قدرات على تحليل المفاهيم التربوية واقتراح الحلول للمشكلات التربوية، لذلك فهي" النشاط الفكري المنظم الذي يتخذ الفلسفة وسيلة لتنظيم العملية التربوية وتنسيقها وتوضيح القيم والأهداف التي ترنو إلى تحقيقها في سبيل ضبط وتوحيد جودة العملية التربوية " (عبد الكريم علي اليماني،2004،ص41) ، فهي تجمع بين

مقترحات وافتراضات ذات بعد فلسفي، مع تطبيقها على الطبيعة الإنسانية والاجتماعية، فآليتها التأمل العقلي المنظم والشامل ومجالها النشاط التربوي بكل ما يحمله من مناهج ووسائل وما يقصده من غايات لخلق أفضل الطرائق التربوية مستقبلا.

3 - أوضاع التربية في الجزائر :

1.3- في العهد العثماني:

فلسفة التربية في العهد العثماني لم تكن واضحة أو محددة ،غائبة في طرائقها و مناهجها و أهدافها لذلك يمكن وصفها بالتخلف و سبب الانحطاط ،وجاء سقوط الدولة العثمانية ليكرس واقعا جديدا للتربية في الجزائر تمثل في الإستدمار الغربي و تكالب أوروبا ،مما أذاقها الويلات و حطمها و دمر ثقافتها ،ولو عدنا إلى ما قبل المرحلة العثمانية فإننا سنجد أن النظام التعليمي الجزائري كان في إسلاميا خالصا ،فكثرت المدارس التعليمية المتمثلة في الكتاتيب و المساجد و الزوايا، فازدهرت الحياة الثقافية نتيجة التشبع بالقيم الإسلامية، دينا و حضارة "و قد شهد عدة فرنسيين شاهدوا الجزائر في فترة الاحتلال بأن الأمية كانت منعدمة تقريبا في الجزائر، و أن سكان الجزائر قد يكونون أكثر ثقافة من سكان فرنسا"(مبارك بن محمد الهلالي الميلي،ص317) ، فالنظام التربوي الجزائري آنذاك بقي محافظا على خصائصه. وانتشار المدارس في تلمسان و قسنطينة و الجزائر...الخ، ساعد في انتشار التعليم في المدن و لعبت الزوايا دورا مهما في نشر الثقافة و تعليم الناشئة في الأرياف، و ساعد نظام الأوقاف في استمرارية النظام التربوي، لأنها كانت تشكل موردا ماليا مهما من حيث الإنفاق على المدارس و تشجيع المتعلمين.

و عندما دخل الأتراك إلى الجزائر لم يهتموا كثيرا بالتعليم، فكان جل اهتمامهم هو الحياة العسكرية و تقوية الجيوش، و لقد عمروا بالجزائر أكثر من 03 قرون "أقاموا خلالها الكثير من التنظيمات خاصة السياسية و المالية و العسكرية و التي عادت بالفائدة عليهم غير أنهم لم يلتفتوا إلى التعليم أي أنه لم يكن لهم أي دخل

أو إشراف عليه"(بخوش صبيحة،2008،ص137) ، فبقي التعليم حرًا، ليستمر بمعونات الجزائريين و تبرعاتهم، فالمجتمع الجزائري كان يقدس العلم و المتعلمين آنذاك، و الازدهار العلمي و الثقافي حققه الجزائريون بأنفسهم ممّا عزّز الوحدة الوطنية بين أفراده على أسس شعبية ، و شكلت الزوايا دورا مهمًا في ميدان التعليم و نشر الوعي الديني بين السكان ، الأمر الذي سمح لها بالجمع بين الوظيفتين الدينية و التعليمية ، فانتشرت خاصة في الأرياف كما في المدن بسبب انتشار الطرق الصوفية، و كانت تعتمد على الهبات و الزكاة و التبرعات كمورد مالي لها.

أما المدارس فكانت منتشرة ،خاصة الابتدائية منها "فها هو دوماس مدير شؤون الجزائر 1850 يقول :"إن التعليم الابتدائي كان أكثر انتشارا في الجزائر ممّا نعتقد عموما"(بلحسين رحوي عباسية،2013،ص128) ، رغم اختلاف التقديرات حول عددها، عبر المدن الجزائرية، و كانت الدروس الدينية سمتها الرئيسية ، فكونت طلبة و علماء.

لقد قام التعليم على تمويل الشعب الجزائري من الهبات والعطايا، بسبب تغييب العثمانيين له وعدم الاعتناء به، والتوجه للاهتمام بجمع المغارم والتكوين الحربي، فكان مؤسسات التعليم هي دور العبادة والمساجد والزوايا والكتاتيب، فكان نظاما تعليميا تقليديا في مناهجه وأهدافه وحتى تعليم اللغة العربية كان منعدما بسبب تشجيع الحكام الأتراك للتركية استعمالها في التعاملات الرسمية "فلم يكن للعثمانيين في الجزائر سياسة للتعليم ولا خطة رسمية لتشجيعه والعناية بأهله وتطويره وتوجيهه وجهة تخدم المصالح الإسلامية العليا من جهة والمصالح الوطنية الجزائرية من جهة أخرى"(ابوالقاسم سعد الله،1991،ص324).

ورغم هذا الجو المكفهر إلا أن الجزائريين لم يغب عنهم حب العلم وتحصيله، والاستزادة فيه فكانت الكتاتيب والزوايا تقوم بعمل عظيم في حماية اللغة العربية، وتعليمها وأصول الدين.

ويذكر أبو القاسم سعد الله رحمة الله عليه، أن مصادر التكوين في الجزائر هي ثلاث:

- المدرسة الجزائرية وتمثلها المساجد والزوايا.
- المدرسة المزدوجة الجزائرية الإسلامية: يجمع فيها الطالب بين تكوينه في الجزائر ومن ثم الالتحاق بالمدارس العربية لإكمال دراسته ثم العودة إلى الجزائر (كجامع الأزهر، الزيتونة.).
- المدرسة الإسلامية عموما: جاءت بها طائفة من علماء مسلمين ليسوا جزائريين استوطنوا الجزائر وعملوا على تكوين الجزائريين.

هذه بعض سمات النظام التربوي في عهد الأتراك والذي يعتبر فترة مضيئة إلى حد ما، لأنه ساهم في القضاء على الأمية والجهل(تقريبا)، عكس المرحلة التي تلته.

2.3- مرحلة الاستعمار الفرنسي (1830-1962):

تجمع الدراسات التاريخية على أن فرنسا عند احتلالها للجزائر وجدت نظاما تعليميا جد متطور، لكنها عملت بخبث و مكر على تدميره و تعويضه بأخر فرنسي"فلجأت إلى كل الوسائل و الأساليب و الطرائق من أجل أن يحقق أهدافه المتمثلة في إدماج الجزائر و جعلها جزءًا لا يتجزأ من فرنسا"(عبد الحكيم بن تركية،2008،ص111) ، فاستهدفت فرنسا المؤسسات التعليمية أولا، و هدمت الكثير من المدارس، و صادرت الأوقاف، و نفت العلماء لأجل القضاء على الإسلام و اللغة العربية، و تفتيت الوحدة الوطنية و القضاء على روح الجهاد، و تشتيت الشعب و تحطيم معنوياته، و جعله يعيش التخلف و الانحطاط، فكانت حملة بربرية تتارية، حتى الفرنسيون أنفسهم استشعروا بشاعتها ،فهذا كل من دوماس و أوبان يصفان الوضع كالتالي: كانت نتيجة سياستنا كارثية، فقد أهملت جميع المدارس الابتدائية تقريبا، و حلت الكارثة بالمدارس و الزوايا الأقرب من مراكز الاحتلال، و هاجر الأساتذة إلى أطراف البلاد، كما تمت مصادرة أملاك الحبوس ، فسيطرت فرنسا على كل مناحي الحياة الثقافية و العلمية والتربوية الجزائرية، فكانت سياستها عنصرية تجبر الفرنسيين على التعليم و تمنعه على الجزائريين، و فصلت المدارس إلى فرنسية كثيرة و جزائرية عربية قليلة جدًا، و بعضها مشترك

يسمح للجزائريين بالدراسة فيها، لكن التعليم السائد كان فرنسيا. هذا ما أدى إلى ظهور حركات إصلاحية، تنادي بالتعليم لكل الجزائريين، ووفقا لقيمه و دينه و عاداته، أي التعليم العربي الإسلامي.

إن الحديث عن الفترة الاستعمارية الفرنسية يمكن الوقوف فيه عند مراحل مختلفة: ففي البداية لم يتعرض الاحتلال لحركة التربية والتعليم في الجزائر لأنهم كانوا مشغولين بسيطرة الإقليم الجزائري لقبضتهم فبقي التعليم عربيا إسلاميا كما كان ،ثم شرعوا في إصدار القرارات بتملك الأملاك الدينية من مساجد وكتاتيب، فبدأ التعليم العربي الجزائري في التلاشي واختفى في النهاية خصوصا في المدن الكبرى وانحصر في المناطق النائية والصحراوية.

كما أن تقلص حركة التعليم في الجزائر كان بسبب الثورات الشعبية الجزائرية التي قام بها كبار رجال العلم والتربية في الجزائر ،فاستشهادهم كان سببا في نقص الكفاءات العلمية وزوالها ولم يبقى إلى العامة بدون علم أو صناعة، ومن بقي من رجال العلم هاجروا إلى أقطار أخرى بسبب الاضطهاد والقهر والعنف الاستعماري.

فكانت السياسة الفرنسية تقضي بالقضاء على التعليم العربي بالقضاء على اللغة العربية وسلخ الجزائريين من هويتهم العربية المسلمة، بالفرنسة والتنصير، وتقسيم المجتمع الجزائري إلى فرنسيين ومعمرين وأهالي"فالإنسان الأهلي ليس هو فقط "الآخر" أي الإنسان المنتمي إلى مجتمع مختلف وغريب، ولكنه أيضا ينتمي إلى مجتمع مختلف ومحتل، إن عبارة فلان "بقي عربيا" كانت حقا إحدى الملاحظات الأكثر تدميرا والتي أدخلت في التقرير الخاص ببطاقات التلاميذ المسلمين في المدرسة النور مالية ببوزريعة"(أبو القاسم سعد الله،1996،ص61).

لقد عملت فرنسا بداية على طمس كل ما له علاقة بالعروبة والإسلام، بطرق قذرة ترغيبية و ترهيبية، وتحت مظلات عديدة، كل هذا باسم الحضارة ونشر العلم، فأصبح المجتمع الجزائري أجنبيا بمعنى الكلمة وتفشت فيه ظلمات الجهل والتخلف لأن "التعليم الفرنسي الموجه للأهالي تعليم قائم على قاعدة إيديولوجية لا يمكن فصله عنها لشدة اتصاله بها هي إيديولوجية الاحتلال ذاته"(مسعود طيبي،2011،ص124).

ولقد وضع المحتل الفرنسي سياسة تعليمية محددة الهداف أساسها القضاء على الشخصية الوطنية الجزائرية بكل مقوماتها لأجل تذويبها في المجتمع الفرنسي وذلك ما دعا إليه الكاردينال لافيجري بفرنسة الجزائر وتنصير شعبها وإدماجه في فرنسا، وفي المقابل القضاء على اللغة العربية والدين الإسلامي ومحو فكرة الوطن المستقل من أذهان الجزائريين والعمل على إخماد الشعور بالانتماء للأمة العربية الإسلامية ثقافيا وحضاريا ، وبدءوا في تهديم معالم الثقافة الجزائرية المزدهرة في تلمسان و قسنطينة، وأغلقت أبواب المدارس وشُرد الأساتذة فغابت الحضارة وأفل نجم العلم في الجزائر.

وعوض ذلك فتحت مدارس فرنسية بهدف تكوين موظفين مرشحين للخدمة في الإدارات و المؤسسات، والهدف الحقيقي من وراء ذلك تكوين عملاء لهم للتأثير في المجتمع كما يرغبون، وهذا الجدول يوضح ذلك(الطاهر زرهوني،1994،ص18)

الجنسية	عدد الأطفال في سن الدراسة	عدد المسجلين	النسبة المئوية
جزائرية	633190	24565	% 3.87
فرنسية	93531	78531	% 84

جدول يوضح المقارنة بين عدد الأطفال في سن الدراسة والمسلمين فعليا بين الجزائريين والفرنسيين

هذه المدارس نوعان(عربية، فرنسية) الأولى للأهالي وأبنائهم والثانية للفرنسيين والأوروبيين عموما، وتشمل جميع الأطوار، حتى التعليم العالي الذي كان فكرا على الفرنسيين والأغنياء من الجزائريين فقط.

4-: -مظاهر الاستلاب الثقافي وظهور الحركة الإصلاحية الجزائرية في العهد الفرنسي:

شكل المستعمر الفرنسي خطرا على الوجود الجزائري، عندما صنع معضلة تتعلق بسلم القيم والعلاقات الإجتماعية و الإنسانية والإرث الثقافي ،فالمجتمع الجزائري مثل باقي المجتمعات، لديه خصوصياته التاريخية والحضارية وقيمه الإنسانية النابعة من الحضارة العربية الإسلامية وتحكمه مجموعة من النظم منها، الإجتماعية، و الثقافية، لذلك عملت فرنسا على نشر الجهل والخرافة والدروشة و التبرك بالأضرحة والقبور حتى تقتل العقل الجزائري ،فحاربت المدارس والكتاتيب و انخفض مستوى التعليم و انعكس سلبا على منظومة القيم الأصيلة وتأثرت بالقيم الوافدة، ما أدي لخلق صراع بين ما هو أصيل وما هو دخيل وبالتالي الانقسام الإجتماعى والصدام الفكري وتفشى الظواهر الإجتماعية السلبية .

لم يكن هذا الاستعمار لمجرد التوسع فقط بل كان لاستغلال الثروات المعدنية و الطاقوية و الفلاحية ونهب كل الخيرات ما أدى إلى تدهور أوضاع الأهالي الاقتصادية والاجتماعية ، فأضحت الجزائر تعيش التخلف والركود والتبعية السياسية والاقتصادية خاصة العلمية والثقافية: ومن هنا تبدأ قضية الاستعمار، لأنه يفرض على حياة الفرد عاملا سياسيا يسمى بالمصطلح الرياضي المعامل الاستعماري ولذلك العامل تاريخه في سياسة الاستعمار"(مالك بن نبي،2012،ص150) ، فعمل على سياسة التهديم للذات الجزائرية، وطمس هويتها والقضاء على عبقريتها، فالاستعمار الغربي انتهج سياسة إحراق الهوية وضرب مكوناتها الحضارية، لقتل الروح الكامنة فيها، والتقليل من شأن العرب ونهضتهم بوضع العراقيل بالجبر والقهر تارة والإغراء تارة أخرى ، فالاستعمار الغربي فرنسي وايطالي وبريطاني وغيره، انتهج سياسة خبيثة واحدة شعارها القضاء على العقيدة الإسلامية، وضرب اللغة العربية، ومنع التعليم والقضاء على المساجد والكتاتيب، ونشر الأفكار المحطمة لقيمته والمعرقلة لمصالحه، فتحيطه بشبكة محكمة ينسجها خبث المستعمر الداهية.

لقد عمل الاستعمار الفرنسي على جر الجزائر إلى الانقراض التدريجي ففي اللحظة التي كان العالم الغربي يتقدم بسرعة هائلة في سلم التأثير العالمي والحضاري، والتقدم التقني والتطور الاقتصادي والرفاهية وتحسين مستوى التعلم والصحة

وغزو الفضاء، كانت الجزائر لا تزال مكبلة بقيود الماضي والتغني بالمآثر، فتحجَر العقل وسيطرت الخرافة والأساطير وكثُر المنجمون والمشعوذون وظهر الدجالون والمتسترون برداء الدين، وحرمت المرأة من التعليم " ولو استمرت الأمة على هذا الحال الذي يزداد تفاقما بمرور الزمن فلا مناص من انحدارها نحو الانقراض كما انقرضت قبلها أمم كثيرة"(علاء الدين الاعرجي،2004،ص02).

ومع الحرب العالمية الثانية لحقت بالدول الاستعمارية خسائر فادحة نتيجة تفوق الألمان، هذا ما جعل الفرنسيين والبريطانيين مرغمين على التخلي عن بعض مستعمراتهم بسبب تكاليف الحرب وإدارة تلك المستعمرات، وبظهور موجة التحرر التي شهدتها باقي المستعمرات سارعت الدول الاستعمارية للهروب من مستعمراتها صاغرة، وخرجت فرنسا من الجزائر صاغرة ذليلة، و رُسمت حدود غريبة بين البلدان العربية تقوم على التنوعات الإثنية والدينية الكبيرة ضمن المناطق المقسومة ،حتى الجزائر لم تسلم من شرور وخبث المستعمر ،الذي حاول طمس اللغة العربية وشجع اللهجات والعامية ، فظهرت مشكلات تتعلق بالقوميات والهويات، وتراجع المستوى العلمي والتعليمي، وظهرت المفاهيم الغيبية وأصبح التعليم مقتصرا على القراءة الكتابة والحساب فقط، ومركّزا على التعليم الديني فقط فساد الجهل والتعصب الديني.

هذا المشهد المؤلم لما آلت إليه الجزائر بسب طغيان القوي الاستعمارية كان دافعا للتحرر والبناء وظهور الحركات الوطنية والجمعيات السياسية والعلمية ورجال الإصلاح و الوعي.

5- : معالم الفلسفة التربوية عند عبد الحليم بن سماية:

1.5- نشأته وطلبه للعلم :

هو عبد الحليم بن علي بن عبد الرحمن بن حسن خوجة من آل بن سماية ولد في 15 جويلية 1866 بالعاصمة من عائلة مشهورة بالعلم والمعرفة(أبو القاسم سعد الله،1998،ص93) ، وهي من الأسر التركية، نشأ عبد الحليم في بيئة علمية: فأبوه هو علي بن سماية رجل مثقف ثقافة عربية إسلامية ،ويعتبر من علماء زمانه آنذاك ،حيث شغل منصب التدريس بالمساجد أمثال جامع السفير والجامع

الجديد بالعاصمة ،أمه تدعى خديجة و خداوج من آل مصطفى بن الكبابطي آخر الذين تولوا الإفتاء على المذهب المالكي في عهد الأتراك(عبد الرحمن الجيلالي،1982،ص403-404) ، هذا ما ساعد على نشأة عبد الحليم على النشأة الإسلامية ،حيث دخل منذ الصغر إلى الكتاتيب، فحفظ القرآن في فترة قصيرة في كتاب بحي القصبة يعرف بجامع "الرقيسة" أو "ابن رقيصة" على يد إمام الجامع في تلك الفترة الشيخ حسن بوشاشية ، وعند الانتهاء من حفظ القرآن يتوجه طالب العلم إلى العلوم الأخرى، وبما أن والده يعتبر من علماء تلك الفترة فقد تولى هو بنفسه تدريس ابنه، فوجد في خزانة أبيه من الكتب النفيسة ما يُشبع نهمه العلمي ، وكان والده يتولى عملية توجيهه في قراءة نفائس الكتب ، فنشأ فصيحا خطيبا محبا للعلم وكان يزاحم العلماء في حلقاتهم : كالشيخ علي ابن الحفاف والشيخ محمد سعيد ابن زكري وغيرهم ،كما درس علم الحساب وعلم الفرائض، وذلك بالبحث على طرق الأسانيد والإجازات، وتوجه في رحلة علمية إلى تونس ، ولزم مشايخ زمانه وعلماء بلده في تلك الفترة مثل: الشيخ علي بن الحاج موسى والشيخ محمد القزداري والشيخ علي ابن الحفاف(محمد بسكر،2015،ص446-447)، واعتمد عبد الحليم بن سماية على الطريقة التقليدية في تحصيله للعلم ، كما قصد الشيخ "محمد بن عيسى الجزائري "فدرس على يديه الفلسفة، وحصَّل أول أجازة عن طريق أبيه في رواية صحيح البخاري، و عُرف عنه حب العلم ومجالسته لطلبة العلم في المدارس والتدريس و تعليم الناس أمور دينهم، فأصبحت تشد إليه الرحال،وازدادا طلابه.

ورغم ذلك فان عبد الحليم ابن سماية لم يكن ذا إنتاج علمي كبير بسبب اشتغاله بالتدريس، فاتجه إلى تكوين الرجال بدلا المؤلفات "(أبو القاسم سعد الله،1998،ص94)، وعُرف عن الشيخ عند تلامذته بمؤلف في العقيدة : وهو رد على الملاحدة، ورسالة موسومة" بالكنز المدفون والسر المكنون" : وهي ذات منحى صوفي ،وهناك عمل مطبوع له عبارة عن رسالة وضعها في أحكام الربا: وهي رد على من يبيحها وعنوانها" اهتزاز الأطود والربي على مسالة تحليل الربا" ، كما صدرت له العديد من المقالات في جرائد داخل الجزائر ومنها جريدة الأقدام

الجزائرية بإدارة الأمير خالد (خالد لصحب،2021،ص445) ، و كان من ابرز تلامذته :عبد الرحمن الجيلالي والشيخ محمد بن أبي شنب.

وبالنظر إلى تاريخ مولد ابن سماية نجده عاش طفولته أواخر عصور المقاومات الشعبية التي عرفتها الجزائر، أما في شبابه فعايش التغيرات التي صاحبت الداخل الجزائري تحت الحكم الفرنسي والسيطرة الشاملة بالفرنسة والتنصير، وعاصر الشيخ ابن سماية على الصعيد الخارجي بواكير النهضة العلمية والأدبية والإصلاحية واحتك برجال الفكر والأدب واتصل بشيخ المصلحين محمد عبده وتلميذه رشيد رضا، "كما حاضر في مؤتمر المستشرقين حول الفلسفة في الإسلام فحاول تصحيح المفاهيم المغلوطة حولها بعيدا عن ما كان يعتقده البعض بوصفها علما عقليا معقدا وضربا من الزندقة والدجل"(أمحمد دراوي،2017،ص319).

2.5- نشاطه بين المدرسة والجامع:

لما اشتهر عبد الحليم بن سماية وذاع صيته ، عملت فرنسا إلى حيلة خبيثة وهي دعوته إلى التدريس في مدارسها الفرنسية داخل الجزائر ،وهي حيلة من اجل فض الناس من حوله والقضاء على دعوته في نشر العلم، والهدف واضح وهي ترك الشعب الجزائري ضائعا جاهلا يتخبط في ظلمات التخلف والظلام، وقبل الشيخ عبد الحليم بهذه المهمة ليس إذعانا ولكنا حبا في الجزائريين الذين وجدهم فيهم شغفا بالعلم وطلبه، ضف إلى ذلك طابع المدرسة الراقي بطبيعة الحال، فلو ترك الشيخ هذه المهمة فإن المستعمر سيغلق عليه باب الحرية ويمنعه من التدريس، فانخرط فيها سنة1896 وهو في سن الثلاثين، و كان دور هذه المدرسة تكوين الموظفين والقضاة، ثم انتقل إلى المدرسة الثعالبية سنة1905، وهي خاصة باللغة العربية ،لكن خبث فرنسا حولها إلى مدرسة ثنائية اللغة ،فكان الشيخ عبد الحليم يُدرس فيها المنطق والبيان واللغة العربية وأدخل كتبا جديدة في عملية التدريس والتربية :مثل دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة، و تلخيص كتاب الاقتصاد في

الاعتقاد، وألفية ابن مالك والعقد الفريد ورسالة التوحيد للزمخشري...وغيرها كثير.

كما عمل الشيخ عبد الحميد على التدريس بالجامع الكبير في اكتوبر1900 ليخلف والده الشيخ بن سماية علي،واستطاع الشيخ عبد الحليم أن يوفق في الوظيفتين،وتمحورت دروسه في المسجد على علوم اللغة والشريعة والمنطق، والفقه، فاستطاع الشيخ تكوين جيل من الشباب المثقف الواعي المرتبط بدينه ووطنه وقيمه وثوابته،و يظهر عمل الرجل من خلال ما أورده بعض المؤرخين الفرنسيين من مثل "ويليام مارسيه" سنة 1906 - 1907 والذي يصفه بفصيح اللسان وحرية الفكر وسلامة اللغة، وأن مستوى درسه في المسجد يساوي مستوى درسه في المدرسة (أبو القاسم سعد الله،1998-ص95-96).

3.5- فلسفته التربوية:

لقد كان الشيخ عبد الحليم بن سماية آنذاك بحق شعلة علمية راقية ومنبعا من منابع الإصلاح في الجزائر،أدرك بحق دور المسجد والمدرسة في توعية الشعب الجزائري واستنهاض همته و ايقاضه من دجل الخرافة والوهم، لذلك حاول إنشاء جيل يحافظ على اللغة العربية والدين الإسلامي في المجتمع ومحاربة مخططات فرنسا في تنصير الشعب ، فادرك أن العلم والتربية المسجدية طرق للمقاومة وتوعية الناس، وتحرير العقل الجزائري، وصنع جيل يقاوم ويكافح، لذلك حق للشيخ عبد الحليم أن يكون مدرسا بارعا ومعلما فذا ومربيا ناجحا، فقد أحب عمله في المدرسة ، وكان يتسم بالفكاهة والحماس في دروسه : يحاول بهذه الصفات غرس الصفات الحسنة والتربية الدينية، فهو يريد إخراج جيل من العلماء الصالحين ليحافظوا على الدين واللغة العربية وإذا أحس في التلميذ أنه لن ينصر دينه فيحاول توجيهه بكل الطرق حتى يستقيم ،فكان يحاول إخراج علماء ذوي الشخصيات القوية حماة للدين والوطن لا أن يكونوا عبئا (مراد بن حمودة،2017،ص205) ، لذلك عمل على إصلاح الوضع في الجزائر بكل الوسائل الممكنة خاصة التربوية و الإرشادية، يعمل في إطار الأصالة و المعاصرة و مرب إسلامي، لذا فانه يستمد مقومات فلسفته في الإصلاح الديني الخلقي و التربوي من

روح الحضارة الإسلامية ، فراح يطهّر الدين الإسلامي من البدع و الخرافات و الممارسات السلبية التي لا علاقة لها به و ألصقت بالإسلام، كما عمل على نشر المعرفة و العلم، و تحرير العقول و توعيتها، و أعاد اللغة العربية و أحياها من جديد، بالتعليم و الكتابة ، و جسد هذا العمل قولاً و عملاً من خلال الدعوة و التربية، و التعليم و القلم ، و منهجيته تربوية تتلاءم مع مقومات الأمة و خصائصها التاريخية و الحضارية، لأجل التغيير لما هو أفضل، و إصلاح ما أفسده المدمّر. فاهتم بإعداد الفرد الجزائري رجلاً و امرأة للعمل و البناء و التحرر، و لم تنحصر إسهاماته و إصلاحاته على الشأن الداخلي فقط بل تعداها إلى ما يحيط به في العالم العربي، و طرقه التعليمية ، لأنه كان يدرك أهمية التربية و التعليم في تحقيق الأهداف الفكرية و العقائدية، و التي يجب أن تواكب الحياة المدنية.

إذن فلا شك أن عبد الحليم بن سماية برغم الظرف الاستعماري والتضييق ومحاولة الاستمالة الفرنسية له، إلا أنه بحق استطاع أن يبذر بذور فلسفة تربوية جزائرية، برغم بساطتها إلا أنها لبنة أساسية في بناء الإنسان الجزائري ،فلقد تمكن من المحافظة على التعليم الأصيل الخاص بالأمة الجزائرية ،رغم محاولات المستعمر فرنسة وتنصير كل ماله علاقة بالهوية الوطنية الجزائرية، كما استطاع أن يوظف ما هو استعماري جديد لخدمة بني جلدته وتطوير أفاقهم وتوسيع مدركاتهم ، خاصة حين عمله بالمدرسة الشرعية الفرنسية ، وهنا تتجلى عظمة الرجل في أصالته وتفتحه ،وهذا بشهادة الفرنسيين أنفسهم(أبو القاسم سعد الله،1998-96،95) ، وطبيعة التكوين الذي نشأ عليه من تربية وتعليم أبيه له، ورحلته إلى تونس، ونفائس الكتب التي اطلع عليها خاصة مكتبة والده ،جعلت منه مربيا ومعلما ذو مهارة عالية في تحبيب العلم لمتعلميه، فكانت طريقته بوصفنا بيداغوجية ، تراعي قدرات واستعدادات متعلميه ، كما تتدرج معهم في التحصيل من البسيط إلى المعقد :وهذا ما نجده من خلال الكتب التي كان يشرحها ويعلمها ، وحتى طريقته في التربية والتعليم كانت تقوم على المحاورة وتفتيق الأنشطة الذهنية للمتعلم ، كما نجده معلما متمرسا ومدركا للجوانب الوجدانية والعاطفية والسيكولوجية للمتعلم ، فكان يخاطب في متعلميه في أرواحهم وعقولهم ،يبث

فيهم الروح والعزيمة ،يريدهم رجال صناع مستقبل ،يحملون هموم أمتهم ،ويسارعون للمشاركة في بناء المجتمع .

كما يستفاد من أفكاره أيضا أنه كان من أوائل رواد الإصلاح الاجتماعي والفكري والثقافي في الجزائر آنذاك ، فلقد كان رجل ميدان ، يتعلم ويُعلم ، وما عمله في المدرسة والمسجد إلا دليل ذلك خاصة في تقسيم وقته بينهما ، لقد كان على وعي تام بحاجة المجتمع إلى تغيير فكري وتصحيح عقائدي حتى يغير تلك الأوضاع التي أنشاها المستعمر ،حتى يعزل الإنسان الجزائري عن محيطه و يجرده من هويته .

ومن حيث طريقة التدريس نجده لم يقف عند حدود التلقين و اعتماد الذاكرة في تحصيل العلم ،لقد تجاوز ابن سماية ذلك إلى ترسيخ فعل التفلسف بحق من خلال النقد والتمحيص والتحليل ،وحرية الفكر في التبرير والمحاججة ، وسبب ذلك هو إلمامه بالفلسفة والمنطق ،فلقد وظفهما توظيفا بيداغوجيا في تطوير ملكات متعلميه ، كما نجده مهاريا في أساليبه متفتحا على جديد طرق التعليم من خلال تنويع مصادر المعرفة ،فلقد أدرج كتبا جديدة في عملية التدريس آنذاك لم تكن مقررة على المتعلمين،مثل : أسرا ر البلاغة، والاقتصاد في الاعتقاد، والمفصل في النحو ...وغيرها من الكتب ،وهذا يعكس مدى تفتحه وسعة اطلاعه على ما هو جديد خاصة المناهج المطبقة في الأزهر الشريف والزيتونة.

وبالنظر إلى شخصية الرجل نقول انه كان رجل علم و فكر ،صاحب فلسفة واضحة،خاصة في تفتحه المذهبي ونبذه للتعصب ونبذ الأخر ،فالحجة تقابلها الحجة، والفكرة تدحضها الفكرة ،خاصة إذا علمنا -كما تذكر بعض المصادر-أنه تعلم العبرية.

6-خاتمة :

فلسفة التربية تبحث في المشكلات الفلسفية والاجتماعية من زاوية تربوية، وتبحث في المشكلات التربوية من زاوية فلسفية و اجتماعية ،لهذا فالتربوي يحدد اتجاهه الفلسفي والفكري عند معالجته المشكلات التربوية ،فيكون ملما بالعلوم الأخرى، لأن المشكلات التربوية ليست ظواهر معزولة بل تحدث في سياق عام اجتماعي وبيئي وثقافي ولا يمكن فهمها أو تفسيرها واقتراح الحلول لها دون عرضها

في إطارها العام ، وعليه فإن الأصل في بناء النظريات التربوية يقوم على رؤية عامة متكاملة وواضحة المعالم تواجه مشكلات المجتمع وتقترح الحلول وتضع الفرضيات ، وتبني الأهداف وتقدم الوسائل لإقامة مشروع تربوي نهضوي، لدعم الإنتاج وتطوير المجتمع وإعادة تقييم النظم والقيم والعلاقات بما يتلاءم والحاجة ، لذلك فلغة الفلسفة التربوية لغة الحياة العامة للإنسان يتداخل فيها ما هو نفسي وما هو اجتماعي،لذلك وجب على المشتغل بالتربية ان يتحقق من المعاني التربوية في مختلف سياقاتها ليتأكد ما إذا كانت صحيحة أم لا؟ ، وعليه نقول أن الشيخ عبد الحليم بن سماية منارة علم، في زمن النظام الفرنسي، و كانت رؤيته واقعية و تحويلية للعمل التربوي، فرغم الضغوطات و القهر الفرنسي إلى أنه بقي صامدًا مع أصحابه، فكان ملهما حقيقيا فيما بعد للحركة الوطنية في تحرير الوطن و لولا أعماله وكفاحه وكفاح من جاء بعده لما تحرر العقل ثم الشعب الجزائري، وما يمكن قوله على عمله وفكره أنه حاول أن يصوغ فلسفة تربوية خاصة بالإنسان والمجتمع الجزائري، منبعها الإسلام والعروبة ،وتتفتح على التطورات العلمية والمعرفية ،فرغم التضييق والاستعمار إلا انه استطاع بناء الإنسان و إصلاح المجتمع سلاحه في ذلك إيمانه القوي بمعتقده ، متمسكا بقيمه ،مؤمنا بالعلم والتربية في البناء والتحرر، كما يمكن وصف اتجاهه بأنه رجل محافظ ومجدد معا ، فكان يدعو إلى ضرورة الرجوع إلى أصول التربية العربية الإسلامية و التشبع بمبادئها و قيمها ،بإحياء التراث التربوي العربي الإسلامي و التمسك بطرق التربية و التعليم الأولى كالكتاتيب و المدارس ،و حفظ القرآن و تعلم أصول الدين و اللغة ..الخ.و عمله بين المساجد والمدارس ساهم في تكوين نوابغ علمية و هامات عربية إسلامية أصيلة جسدت الماضي و التراث ، كما نجد أن عبد الحليم بن سماية استشعر حاجة مجتمعه إلى المدارس ،فالحفاظ على الهوية و عناصر الثقافة العربية الإسلامية خاصة في ظل الاستلاب الثقافي الفرنسي شكل أهم أهدافه التربوية و إن كان الرجل ليس فيلسوفا ،إلا أن أفكاره و آراءه غلبت عليها الطابع العملي في الدعوة و الإصلاح و التغيير و الدعوة إلى التمسك بالدين .

7-قائمة المصادر والمراجع:

المعاجم:

1. - ابن منظور، لسان العرب ، ج 3 ،القاهرة :دار المعارف.
2. - المعجم الوسيط-طبعة دار المعارف -1983 –ج2.
3. - لالاند اندريه ، تر (خليل أحمد خليل)، الموسوعة الفلسفية. المجلد 1، منشورات عويدات،بيروت، لبنان، ط2، 2001.
4. - صليبا جميل ، المعجم الفلسفي ، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، لمجلد2، دون طبعة، 1979-

الكتب:

1. - بسكر محمد ،أعلام الفكر الجزائري من خلال أثارهم المخطوطة و المطبوعة، ج 1،دار كرداده، المسيلة – الجزائر، 2015 .
2. ابيل روبن ،الانسان هو المقياس.تر مصطفى محمود، المركز القومي للترجمة، القاهرة ، مصر،ط 1،سنة2011.
3. الأعرجي علاء الدين ، أزمة التطور الحضاري في الوطن العربي، منشورات كتاب ، بيروت، ط1، سنة 2004.
4. الأعسم عبد الأمير ، المصطلح الفلسفي عند العرب. الدار التونسية للنشر، تونس، دون طبعة،1991 ..
5. بن نبي مالك ، شروط النهضة، سلسلة مشكلات الحضارة، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، ط11، سنة 2012.
6. الجيلالي عبد الرحمان ، تاريخ الجزائر العام، ج4 ،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982 .
7. الحجلاوي لطفي ، فلسفة التربية – الإشكاليات الراهنة .التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، دون طبعة،2009.

8. الدوري علي حسين ، أصول التربية في مفهومها الحديث. الأردن، ط 1، 2009.

9. ريبول اوليفييه ، تر(جهاد نعمان) ، فلسفة التربية. منشورات عويدات، بيروت،باريس ،ط3 ، 1986

10. زرهوني الطاهر التعليم في الجزائر قبل وبعد الاحتلال، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، رغاية (الجزائر)1994.

11. سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1998.

12. سعد الله أبو القاسم أبحاث و أراء في تاريخ الجزائر. دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الجزء4، ط1، 1996.

13. شيبان عبد الرحمان ، مقدمة مجلة الشهاب، دار الغرب الإسلامي، بيروت ،لبنان،ط2000،1.

14. علي اليماني عبد الكريم ، فلسفة التربية. دار الشروق للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ط1، الإصدار الأول،2004.

15. فاروق محفوظ أسس التربية. دار المعرفة الجامعية. الإسكندرية ، ط1 ، 1993. شيل بدران.

16. مرسي محمد منير ، فلسفة التربية _ اتجاهاتها و مدارسها_، عالم الكتب، القاهرة، مصر، دون طبعة، 1995.

17. نجم الحلبوسى سعدون سلمان ، دراسات في فلسفة التربية والمناهج- مكوناتها-نماذج بنائها و تقويمها و تطويرها. منشورات الفا، مالطا، دون طبعة،2003 .

18. الهلالي الميلي مبارك بن محمد ، تاريخ الجزائر في القديم و الحديث، مكتبة النهضة الجزائرية،الجزائر،ج3،بدون طبعة أو سنة.

المقالات:

1. بخوش صبيحة،وضعية التعليم فى الجزائر فى العهد العثماني ،مجلة حوليات مخبر التاريخ و الجغرافيا- المدرسة العليا للأساتذة .ع2، سنة 2008.
2. بلحسين رحوى عباسية ،دراسة سوسيوتاريخية للتعليم الجزائري من العهد العثماني إلى الاستقلال، مجلة التربية و الإستيمولوجيا- المدرسة العليا للأساتذة. ع4 ،سنة 2013 .
3. بن تركية عبد الحكيم ،سياسة فرنسا التعليمية فى الجزائر1830-1962 مجلة حوليات مخبر التاريخ و الجغرافيا- المدرسة العليا للأساتذة- بوزريعة.العدد02. سنة 2008 .
4. بن حمودة مراد ،النشاط الإصلاحي للشيخ عبد الحليم بن سماية ،مجلة الحكمة للدراسات التاريخية،المجلد03العدد06 سبتمبر2017.
5. الجيلالي عبد الرحمن ،جوانب من كفاح الشيخ عبد الحليم بن سماية، عن مجلة الأصالة،وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية،الجزائر السنة الثالثة،ع1973،13.
6. دراوي أمحمد ،أضواء على حياة ومواقف الشيخ عبد الحليم بن سماية وجهوده الإصلاحية،مجلة عصور،الجزائر ،ع2017،36.
7. طيبي مسعود ،شخص المعلم الأهلي ومدى تفاعله مع إيديولوجيا الاحتلال الفرنسي للجزائر، مجلة التربية والابستومولوجيا، ع01، سنة 2011.
8. لصحب خالد ،الجهود التربوية لعبد الحليم بن سماية بين المدرسة والمسجد،دراسة وصفية،مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية،قسنطينة ،الجزائر،المجلد35،العدد2021،03.